المحاضرة الرابعة:

العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين

الدولة الفينيقية(880- 146 ق.م)

يعتبر الفينيقيون أمة سامية، هاجر أبناؤها من الجزيرة العربية إلى بلاد الشمال واستقروا في لبنان وبالتحديد في مدينة صيدا ومدينة صور، بطبيعة الحال أمة بحرية يعيش أبناؤها على التجارة ويهتمون بتأسيس المدن على سواحل البحر الأبيض المتوسط لترويج بضاعتهم، كما أن بعد المسافة بين صيدا والأندلس دفع بالفينيقيين إلى إقامة مراكز تموين وإصلاح السفن في المدن الساحلية بشمال إفريقيا، وهكذا ازدهرت العلاقات التجارية بين الفينيقيين وسكان شمال إفريقيا الذين كانوا يحصلون على الأقمشة المصبوغة بالحمرة والأواني والزجاج، ويصدرون للفينيقيين الأنعام والأصواف والجلود وريش النعام والعاج، ونتيجة لذلك أسس الفينيقيون حوالي 300 مركز تجاري بشمال إفريقيا وبناء 200 مدينة لتقوية العلاقات التجارية بينهم وبين إخوانهم الكنعانيون بهذه الطريقة الاستراتيجية، ومن المدن الساحلية التي انتشر فيها الفينيقيون بكثرة نخص بالذكر: تونس وبنزرت وسوسة(تونس)، ومدن:الجزائر بجاية، عنابة، جيجل، القل، شرشال، دلس، تنس، تيقزيرت في (الجزائر)، ومدن:طانجة، مليلة، أجادير(بالمغرب(11(،وبهذا تمكن الفينيقيون من تأسيس وإقامة أكبر دولة في ذلك الوقت وهي دولة قرطاجنة بشمال إفريقيا.

العلاقات بين حكام قرطاجنة وحكام الجزائر:

إن القرطاجنيين مثل سكان شمال إفريقيا ينتمون إلى الجنس السامي، وهذه النقطة هي التي ساعدت على خلق التفاهم والانسجام بين حكام البربر وحكام قرطاجنة، كما توطدت العلاقات السياسية بين الطرفين بسبب الرغبة الصادقة للقرطاجنيين في استمالة زعماء وأمراء القبائل أو العشائر المتواجدة في الجزائر حيث لم يحاول حكام قرطاجنة أن يستعمروا ويسيطروا على

الإمارات البربرية، وإنما استعملوا الدهاء السياسي وأغدقوا الأموال على الحكام المحليين وتقربوا إليهم عن طريق المصاهرة وتمكينهم من الحصول على البضائع الضرورية لمواطنيهم وتدريبهم على صناعة بعض الأشياء التي يحتاجها سكان كل إمارة)12.(

و على العموم كانت العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين معقدة ومتغيرة على مر التاريخ حيث تراوحت بين الصداقة والتعاون والحرب والعداء، ويعتمد فهم هذه العلاقات على الفترة الزمنية المحددة والجغرافية المعينة بالإضافة إلى القبائل البربرية المختلفة التي تفاعلت مع الفينيقيين.

أوجه التعاون والصداقة:

•**التجارة** :وكانت التجارة أهم ركيزة في العلاقات بين الفينيقيين والبربر حيث استفاد الفينيقيون من موارد شمال إفريقيا مثل المعادن كالحديد والرصاص والنحاس والخشب والحيوانات، بينما قدموا للبربر منتجاتهم المصنعة مثل الأدوات المعدنية والمنسوجات والأواني الفخارية، وقد أدت هذه التجارة إلى تأسيس مستوطنات فينيقية على طول الساحل الإفريقي والتي أقامت علاقات تجارية وثيقة مع القبائل البربرية المجاورة.

•الزواج والاندماج الثقافي :

في بعض الحالات تزوج الفينيقيون من نساء بربريات، مما أدى إلى اندماج ثقافي جزئي، قد يكون هذا قد ساهم في تسهيل العلاقات التجارية والسياسية بين الطرفين.

•التحالفات العسكرية :

في بعض الأحيان تحالف افينيقيون مع قبائل بربرية معينة ضد أعداء مشتركين، مثل الرومان وقبائل بربرية أخرى، وكان هذا التحالف مفيدا للفينيقيين للحصول على دعم عسكري، بينما كان مفيدا للبربر للحصول على أسلحة وتقنيات عسكرية متقدمة.

أوجه العداء والتخالف:

•**الغارات والنهب** :لم تكون العلاقات دائما سلمية حيث قامت بعض القبائل البربرية بغارات على بعض المستوطنات الفينيقية لنهبها، ورد في المقابل الفينيقيون أحيانا بهجمات عسكرية لحماية مصالحهم التجارية.

•**المنافسة على الموارد** :قد تكون المنافسة على الموارد مثل الأراضي الخصبة ومصادر المياه كضفاف الأودية والأنهار والمياه الجوفية سببا في نشوب صراعات متكررة بين الفينيقيين والقبائل البربرية.

•**الاستعمار الفينيقي** :قد يكون تأسيس المستوطنات الفينيقية على طول الشريط الساحلي الإفريقي قد أثار غضب بعض الفبائل البربرية التي اعتبرت ذلك انتهاكا لسيادتها ولأراضيها، ما شكل دعما لنمو الصراع والعداء بين الفينيقيين والبربر.

وعموما فقد كانت العلاقات بين الممالك البربرية والفينيقيين متذبذبة وغير مستقرة بين صداقة وعداء، يعتمد في فهم هذه العلاقةات على السياق التاريخي والجغرافي، و قد كان التعاون التجاري السمة الطاغية على هذه العلاقات، ولم يكن الصراع غائبا في هذه العلاقات، وهذه التفاعلات أدت إلى اندماج ثقافي محدود لكنها لم تؤد إلى اندماج كلي.